2 عبق التاريخ وليالي المودة في رمضان

3 ربيان مع البطاطا

4 الاعلامي عمرو اديب الزوج الخامس للحاجة زهرة

من تراث الشعوب العربية

أهازيج وطقطوقات وأغان رمضانية خالدة

رمضان يطوينا بجناحه النوراني ويحلق بنا في فضاءات الرحمة والغفران فنستنبط منه العبر ونتعلم منه الصبر، فكل ايامه المضيئة مليئة بالفعاليات الاجتماعية والطقوس الدينية.
ويحتفل العرب بقدوم رمضان حيث كانت الاحتفالات تبدا في ليلة النصف من شعبان وليلة النصف من رمضان والليالي الاخيرة منه، فكلمة (القرقيعان) او (القرقعون) او (القريقشون) او (الوحوي) والماجينا اسماء لطقس رمضاني واحد يتكرر بأسماء مختلفة بين الشعوب العربية..

تحتفل البلدان العربية في ليالي رمضان بطريقة تكاد تكون متفقاً عليها ففي البصرة والكويت وقطر وبعض مناطق الخليج الاخرى يكون القرقيعان في ليلة الرابع عشر والخامس عشر من رمضان حيث يخرج الفتية على اشكال مواكب يحملون اكياساً ويرددون اغنية كلماتها اشبه بالدعاء يطرقون الابواب وهم يرددون: قرقيعان وقرقيعان عادت عليكم صيام/ كل سنة وكل عام/
ثم يشرعون بالدعاء الى اهل البيت فردا فردا/ الله يخلي راعي البيت آمين/ الله يخلي حمودي آمين فتخرج ام البيت وتطلب منهم الاكثار بالدعاء قبل ان توزع عليهم الحلوى والمكسرات فيملأون اكياسهم ولا يتركون بيتاً الا ووقفوا على بابه ويجعلون الليل كرنفالاً جميلاً.. اما في الامارات العربية المتحدة فإن كرنفالها هو ليلة النصف من شعبان والطريقة لا تختلف كثيراً عما ذكرنا وقد يردد الاطفال اهزوجة تختلف نظماً عما ذكرنا تقول بعض كلماتها:

انطونه حق الله
يرضى عليكم الله
جدام بيتكم دله
عسى الفقر ما يدله

وهم ايضاً يحصلون على الحلوى بالطريقة نفسها والطريف ان هناك من لا يرد على الاطفال فيقومون بمعاكسته كما يقال في دولة الامارات:

جدام بيتكم طاسه
وعجوزكم محتاسه

اما في بغداد فيطلقون على تلك الليلة (الماجينا) واهزوجتهم هي:

ماجينا يا ماجينا
حلي الكيس وانطينا
انطونا الله ينطيكم
بيت مكة يوديكم
واذا طال عليهم الوقوف ولم يخرج اليهم صاحب الدار يصرخون بأعلى أصواتهم:
يا أهل السطوح
تنطونا لو نروح

أما اهل الشام فإنهم يخرجون في الليالي الثلاث الاخيرة من رمضان مرددين اشعاراً شبيهة بالموشح:

الصبح بدا من طلعته
والليل دجى من وفرته
فاق الرسل فضلاً وعلا
هاذي السبل بدلالته

وفي مصر فإن احتفالهم يبدأ من الليلة الاولى وينتهي في الليلة الاخيرة منه حيث يجول الاطفال في الشوارع وهم يوقدون الفوانيس في كل ليلة ويحملونها معهم ويرددون اغنيتهم التراثية:

وحوي يوحوي اياحا
وكمان وحوي اياحا

وهكذا فإن المجال لا يسع ان نذكر كل البلاد وكانت هذه الطقوس عامة وشاملة الا انها بدأت تنحسر شيئاً فشيئاً وبدأ الاهتمام بها يتضاءل وربما اقتصرت على المناطق الشعبية في كل البلدان الا ان بعض الملحنين والكتاب اتفقوا على تخليد هذه الليالي بأغانٍ هذبت كلماتها ووضعت لها الحاناً تردد في ليالي شهر رمضان الكريم فقد لحن الفنان الراحل احمد عبدالقادر في مصر اغنية (اليموي) وأداها بصوته مع مجموعة الاطفال ونحن نسمعها كل يوم من أغلب الاذاعات كما لحن الفنان الكبير الشيخ سيد مكاوي معظم التراثيات المصرية وللثلاثي المرح اغنية الفوانيس، وفي العراق فإن اغنية الماجينا التي لحنها الفنان سمير بغدادي تردد كل يوم كذلك كما يغني الاطفال اغنية (حق الليلة) من اذاعات الامارات العربية المتحدة.

الاغاني الرمضانية

ضمن الاحتفالات التي يشهدها شهر رمضان الكريم فقد اهتم الشعراء بصياغة ونظم كلمات وقصائد تمجد هذا الشهر الكريم، فقد وضعت الحان عديدة تتحدث عن فضائل هذا الشهر منها الشعبية ومنها الدينية ومنها الرمضانية، فعندما يفطر الصائم يردد دعاء محفوظاً ومعروفاً استخرجه الفنان الراحل روحي الخماش ولحنه لفرقة الانشاد العراقية من نغم اللامي ولا يزال يردد كل يوم بعد اذان المغرب..
تقول كلماته

يا اله الكون إنا لك صمنا
وعلى رزقك افطرنا وإنا
لصيام الغد يا رب نوينا
فتقبل صومنا يا رب منا

وللمسحراتي وضع سيد مكاوي بالاشتراك مع الشاعر صلاح جاهين اكثر من ثلاثمئة لحن وقد غنى لرمضان كل المطربين الا ان هناك اغاني خالدة وبارزة كأغنية احمد عبدالقادر التي اشرنا اليها وأغنية الفنان الراحل محمد عبد المطلب (اهلاً رمضان).
وقد وضعت ألحان تتحدث عن تحمل الصائم وشكواه واسرافه في الطعام كالمحاور الغنائية التي جمعت صباح مع فؤاد المهندس (الرجل ده حيجنني) كما تحدثت الاغاني عن المسبحة والسجادة التي ترافق الصائم طيلة ايام رمضان وذلك في اغنية (رمضان يا سبحة وسجادة، يا شمعة بالليل منقادة) وأغنية (سبحة رمضان ثلاثة وثلاثين حباية) للثلاثي المرح.
وقد انتقلت الاغاني من اللون الشعبي الى قوالب غنائية رصينة تحمل الطابع الديني الرمضاني فقد لحن الفنان العراقي رضا علي اغنية تجاوز عمرها الخمسين عاماً ولكنها ما زالت فتية وهي من نغم الحجاز:

يا عباد الله اطلبوا الغفران
سبحوا لله في شهر رمضان

وقد انتشرت الاغاني الرمضانية بانتشار الاذاعات العربية وكانت ترمز لفضائل الشهر استقبالاً واستبشاراً وتمجيداً ووداعاً.

الأغاني الدينية

من الواضح لدينا ان الاغاني الدينية اعتمدت في بدايتها القوالب التي وضعها قراء المدائح النبوية والتي كان معظمها يشبه الادوار والعقود الحلبية وقد أخذ الملحنون في بداية القرن الماضي الذي شهد انطلاقة الاغنية الدينية الملحنة والتي استقطبت الرواد بترانيمها وكونت لديهم فكرة بكيفية ادخال الموسيقى ووضع قوالب جديدة واسس لموسيقى الغناء الديني، اخذ الشيخ ابو العلا القصائد الكبيرة وبدأ بتلحينها وكانت تردد بعد ان تحفظ وافضل من روجها الآنسة ام كلثوم في وقتها وفي بداية انطلاقتها، كذلك فإن الشيخ زكريا احمد وهو من الازهر الشريف، كان قد استوعب هذا النمط من الغناء فلحن لنفسه قصيدة ابن الفارض وبعض قصائد شوقي وادخل عليها العود والكمان والقانون والناي الا انها كانت تحمل نفس الطابع فلا تنتقل من ايقاع الوحدة الكبيرة وكانت اهم قصيدة لحنها هي (يا نبيا سمت به العلياء) وهي من البيات.
ثم بدأ يعطي الحانه المتحركة الجديدة الى المطرب ابراهيم حمودة وشافية احمد وفتحية احمد وكثير من الاصوات التي كانت تصدح في تلك الايام وقد حذا حذوه من عاصره من الملحنين وشيئاً فشيئاً تطورت الابتهالات الدينية بحضور الاصوات الجديدة فكان السنباطي والقصبجي قد رفدوا هذا الفن بألحان كبيرة ومتنوعة، وفي الخمسينيات والستينيات انتشرت الاغاني الدينية في الوطن العربي وقد أصبح لكل قطر كتاب وملحنون.
ومن الابتهالات الدينية الراسخة بالذاكرة ابتهال فايدة كامل من النهاوند:

الهي ليس لي إلاك عوناً
فكن عوني على هذا الزمان
الهي ليس لي إلاك ذخراً
فكن ذخري اذا خلت اليدان

كذلك فإن للفنان الكبير وديع الصافي انشودة من الحجاز:

سبحت باسمك بالأصال والسحر
يا باعث النور في قلبي وفي بصري

وللفنان العراقي الراحل ناظم الغزالي اغنية من العجم:

قوم صلي الفجر بيّن
ادي فرضك لا تدين

وهناك نماذج اخرى لا تعد ولا تحصى اخذت جميع الانغام وركبت على معظم الايقاعات الخفيفة منها والثقيلة ساهم بها معظم المطربات والمطربين حتى اصبحت بعض الابتهالات لوناً خفيفاً يتناوله الناس في المناسبات الدينية وقد ساهمت تلك الالحان في كل المناسبات في رمضان كما ذكرنا وفي الحج وكلنا يذكر اغنية الراحلة اسمهان التي تبثها الاذاعة في ايام الحج:

والنبي يا زائرين ارض الكرامة
سلموا على المصطفى سيد تهامة

وهي من الهزام
كذلك فإن لها اغنية خالدة اخرى وهي:

عليك صلاة الله وسلام
شفاعة يا جد الحسنين
د محملك رجعت ايامه

وهي لفريد الاطرش وهي من البيات ولمحمد الكحلاوي اغنية:

لجل النبي لجل النبي
تقبل صلاتي على النبي

وهي من الاغاني الخفيفة الممتعة وقد ركبت على ايقاع المحمودي وتبقى الاغاني الخالدة الراقية لسيدة الغناء العربي ام كلثوم وشيخ الملحنين الراحل رياض السنباطي وقد بدأت ام كلثوم تفتش عن هذا النوع من الغناء فوجدت ضالتها الاولى عند امير الشعراء احمد شوقي فقد ذهبت الى السنباطي بقصيدة:

سلوا قلبي غداة سلا وتابا
لعل على الجمال له عتابا
ويسأل بالحوادث ذو صواب
فهل ترك الجمال له صوابا

فأحسن السنباطي الحانها وتنقل بها ما بين الرست والنكريز والنوى والحجاز وتغنت بها ام كلثوم فأحسنت اداءها وانتقلت بين الناس الى اوسع مدى ثم جاءت الاغنية الخالدة الثانية التي عارض بها شوقي قصيدة البردة للبوصيري:

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمي بالاشهر الحرم
لما رنت حدثتني النفس قائلة
يا ويح جنبك بالسهم المصيب رم

وكانت للسنباطي ايضاً وهي من الهزام وتعتبر هذه الاغنية من كبرى روائع ام كلثوم فإنها تمتاز بصعوبة اللحن وقوة الاداء وتوالت الاغاني لأم كلثوم مع السنباطي فجاءت اغنية:

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء

وكانت آخر ما غنت ام كلثوم للسنباطي ايضاً تلك الاغنية التي تتغزل ببيت الله الحرام وهي من الزجل للزجال الكبير بيرم التونسي وقد لحنها واداها بصوته الشيخ زكريا احمد وقد أعاد تركيبها لحناً السنباطي:

القلب يعشق كل جميل
ويا ما شفت جمال يا عين

اما السنباطي فقد خلدته تلك الاغاني التي صممها لأم كلثوم وله الفضل الكبير على التطور الذي حصل في الاغنية الدينية وتلحين القصيدة بصورة خاصة وقد ادى صوته بعض الاغاني ومنها اله الكون سامحني انا غلطان. وقد تماشت الاغنية الدينية زمناً مع الاغاني العاطفية وما زالت تفرض نفسها في كل الاذاعات في صباح كل يوم ذلك لان لها وقعاً في نفوس المسلمين يودون سماعها كل يوم في ساعات الصباح الباكر بصورة خاصة وانها اصبحت تراثاً وتأريخاً فلن نجد لها امتداداً في هذه الايام.

عن كتاب من الذاكرة للناقد الموسيقي الراحل سعاد الهرمزي/ بغداد ١٩٨١

العدد (1900) السنة الثامنة
السبت (5) ايلول 2010

http://www.almadapaper.com
E-mail: almada@almadapaper.com

ايام من رمضان

إشراقات إنسانية

كاظم الجماسي

لرمضان، عدا سماته واجواءه الدينية، سمات اجتماعية عدة، سيما عندنا نحن العراقيين، ولعل واحدة من ابرز تلك السمات، توثيق العرى الانسانية بين الناس، بغض النظر عن حجم ومدى صلات القربى بين الناس. ففي هذا الشهر حصرا تبلغ درجات التوادد بينهم اقصاها، اذ يتجاوز بدءا المتخاصمون اسباب خصوماتهم، ويجتمع الاخوة والاخوات على مائدة واحدة، من بعد طول افتراق بسبب مشاغل الحياة اليومية، وغالبا ما يجتمعون في بيت العائلة الاول، بيت الاهل، او الاخ الاكبر، ومن ثم تترادف الدعوات، كل فطور في بيت احدهم، وتلعب صينيات الطعام دورا مميزا في تعميق اواصر الجيرة، حين تتنقل مابين البيوت، حاملة ماتجود به امكانات الناس، لتعبر عن المودة والمحبة التي يكنها الجار لجاره، كما تتكرس تلك المودة والمحبة بين سكنة المناطق المتباعدة، عبر وقائع لعبة المحيبس التي تجمع شباب الفرق المتنافسة التي تفيض بالحماسة واسباب التسلية المتنوعة فيها، من تلذذ في تناول الزلابيا والبقلاوة العراقيتين على ايقاعات المربعات ومختلف انواع الاهازيج العراقية المتنوعة، والسهر حتى ساعات متأخرة من الليل الرمضاني الجميل.
وليس هذا فقط، بل هناك الوقت المخصص للحكايات الشعبية التي مثلت لنا وتمثل نوافذ مشرعة للحلم، ولا اظن ان احدا منا نسي كم حلقنا مع اخيلة الاميرة(حب الرمان) وحبيبها(حسن) ابن الحطاب الفقير ولكن الذكي والشجاع والصبور على الملمات، واية رحلة مكلفة تجشم عناء السفر فيها عبر السبع بحور والسبع جبال والسبع غابات، ويجتاز المخاطر كلها بتغلبه في الصراع على الحيتان العظيمة، والافاعي الجبارة والديناصورات العملاقة، ليجلب خاتم سليمان، الذي يشفي عيون السلطان الظالم، والد الاميرة(حب الرمان)، وهو مهرها في الوقت نفسه..
وكثير من الحكايات التي كان يتنافس في التفنن في سردها المرحوم والدي واختي الكبرى، حيث تتضافر الكلمة وايماءات اليد وتعابير الوجه الناطقة مع الكلمات المرسلة صعودا وهبوطا، انسيابا وقطعا، مرة بغضب يجعلك غاضبا، ومرة بحزن متهدج لتخنقك العبرات على مصائر اولئك الابطال الميامين متضامنا معهم في سرائهم وضرائهم على نحو سواء..
وليس هذا فقط، فأن للتوادد والتراحم في ايام رمضان وجوها اخرى، لعل الوجه العظيم والارفع سموا يتمثل في مد يد العون للمحتاج، وتطييب خاطره، بسد حاجته، سيما اذا حدث ذلك بالكتمان، وليس مثلما تفعل بعض البرامج الفضائية في اللعب على مشاعر المحتاجين على شاشاتها، والايغال في اذلالهم، ان عدم الاعلان عن مد يد العون للفقراء والمحتاجين، بأي قدر كان يعد احتراما لانسانية الانسان قبل كل شيء،فضلا عن كونه تكريساً لمبداء التكافل الاجتماعي، واخلاصا وتجردا في فعل الخير، ولذلك وقع كبير في النفس فمن منا لم يقع ذات ليلة تحت طائلة الحاجة، ومن منا لم يشعر بالامتهان امام ضغط احوال الحياة المتبدلة على الدوام؟
وما دمنا في خضم رمضان وايامه الاخيرة، والجميع يعرف حق المعرفة ان مئات الالوف من ابناء شعبنا المكابر، اطفالا ونساء وشيوخا ومرضى، من اولئك الذين يقاسون اصعب الظروف واحلكها، ولاسباب شتى، يعانون عوزاً ويتماً وترملاً وشيخوخة ومرضاً وعوقاً وبطالة، والقائمة تطول ولاتقصر، اقول: ما دمنا في رمضان، فأن الواجب الانساني والوطني يوجب علينا مد يد العون قدر استطاعتنا،لأقرب من نعرفه، ليس لكسب اي جزاء اخروي او دنيوي، بل لتوكيد كينونتنا كبشر، وتعضيدا للتكافل الاجتماعي المطلوب بيننا، وطالما(كل الطرق تؤدي الى روما) اقول: فلنفعل ذلك، مادامت حكومتنا الرشيدة تعجز عن ذلك، مع الاسف الشديد.

رمضان في العالم